



انهيار في حزب الله، هكذا كتب موقع ميدل إيست بريفنج - 21 ديسمبر الماضي - في إشارة إلى التبعات السياسية الاقتصادية العسكرية الجماهيرية وحتى الفكرية والأيدلوجية لتورط حزب الله في معركته الخاسرة واليائسة إلى جانب النظام السوري مع تواصل عودة النعش الصفراء إلى لبنان وتأكل مكانة الحزب لبنانياً عربياً وإسلامياً مع انخراطه غير المجمل أو المموم في الحرب الطائفية التي تخوضها إيران في المدن والعواصم والدول العربية سعياً وراء حلم أو وهم الإمبراطورية.

ربما تحمل كلمة انهيار بعض المبالغة والمصطلح الأدق هو تأكل تصدع تشقق في صفوف الحزب وصورته وعلى كل المستويات كما قلنا سابقاً، علماً أن الموضع عرض لخمسة تحديات تواجه الحزب كلها تقريراً على علاقة مباشرة أو مرتبطة بتورطه إلى جانب النظام في حربه المجنونة اليائسة والخاسرة ضد الشعب السوري.

- التحدي الأول: أن يكون قادراً على الحفاظ على دعم قاعدته الشعبية بينما تستقبل القرى الشيعية جنوب لبنان يومياً صناديق تحتوي على جثث أبنائهم للذين قتلوا في سوريا.

هذا ربما أصعب تحدي داخلي يواجهه الحزب حيث يتواصل تدفق النعش الصفراء بشكل يومي مع احتدام المعارك البرية وتواصل انتشار الحزب على مناطق واسعة من سوريا الشاسعة أصلاً والأمر هنا ليس عسكرياً فقط بمعنى أن الحزب يخسر في معركة مفتوحة لا أفق أو نهاية لها والأهم أن أمينه العام توقف حتى عند الحديث عن الانتصار كما كان يفعل في بداية انخراطه العسكري في سوريا وإنما يتم الحديث عن تسويات تحفظ مصالح الحزب أو حتى مصالح إيران في سوريا.

لعودة النعش طبعاً كلفة نفسية واقتصادية واجتماعية مع آلاف الأرامل واليتامى بكل ما يثيره ذلك من ضغوط على الحزب خاصة مع الأزمة الاقتصادية وارتفاع الأسعار وشدّيد الحصار الأمريكي عليه وعدم خروج إيران حتى الآن من أزمتها المالية علماً

أن تمويلها للحزب قد يؤدي إلى فرض مزيد من العقوبات الأمريكية ضدها غير المرتبطة بالملف النووي، والتي لا يستطيع الرئيس أو ياما رفعها أو حتى الحديث - مع رفض شديد في الكونغرس - عن رفعها في سياق تقاربه مع إيران ومحاولة تحقيق حلمه باجتذابها إلى صف الولايات المتحدة.

التحدي الثاني: إدارة المعركة بفعالية على أرض غير مألوفة ودون وجود سابق علاقة مباشرة مع سكانها.

رغم اكتساب الحزب قدرات وخبرات قتالية لافتاً إلا أنه فقد ما بين 1300-1500 عنصر مع خمسة آلاف جريح تقريباً ما يعني فقد ثلث قوته القتالية الحقيقية أو نخبة مقاتلة على مستوى القتلى والجرحى والأهم أنه حق بعض النجاحات الجزئية في المناطق المتاخمة للحدود مع لبنان ولكنه عجز عن تحقيق نجاحات في مناطق قرية نسبياً مثل القلمون والزبداني ناهيك عن البعيدة مثل درعا وحلب حيث يسقط أكثر مقاتليه وحتى ريف الأذقية وهو هنا فقد ليس فقط التفوق الأخلاقي مع انخراطه إلى جانب نظام استبدادي مجرم وإنما معرفته بالجغرافيا وأرض المعركة كما الدعم أو الاحتضان الشعبي، وهي أهم أسباب تحقيقه للنجاحات اللافتة والمهمة في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان.

التحدي الثالث: بناء علاقات خالية من الاحتكاكات مع ضباط جيش الأسد والقادة في الميدان في حين يمتلك كل طرف وجهة نظر وعلاقات مختلفة ببيئة العمليات.

هذا صحيح ويکاد يكون غير ظاهر مع خلافات فكرية وعسكرية ونفسية هنا حيث خلفية الضباط العلوين خلفية علمانية - أقرب إلى روسيا منها إلى إيران والحزب - . وهم ضباط فاسدون مرتشون منحطين أخلاقياً الأهم أن الأسد لم يعد يمتلك جيش بالمعنى الحقيقي للكلمة والعبء الأساس برياً على عاتق حزب الله والميليشيات الأخرى المدعومة إيرانياً ومع ذلك يصر ضباط الأسد على الاحتفاظ بالقيادة أو بالكلمة العليا في الميدان ويصر حزب الله على القتال بعيداً عنهم وهو أمر مستحيل قياساً إلى جهله أو عدم معرفته بالجغرافيا السورية كما لرفض النظام أو بقيايه وضباطه لتفرد الحزب وقيادته المعركة البرية منفرداً ومن هنا يمكن الإشارة إلى أمر مهم مفاده أن حزب الله إيران يرتاح أكثر إلى شبيحة الدفاع الوطني بينما ترثى روسيا مثلاً إلى بقايا الجيش النظامي وترى تقويته ودمج الشبيحة داخله وهو ما ترفضه طهران بشدة.

التحدي الرابع: الحفاظ على جاهزية الحزب وأنضباطه التنظيمي الصارم رغم استنزافه في سوريا ليكون قادراً على صد والاستجابة لأى هجوم إسرائيلي مفاجئ إذا قرر الجيش الإسرائيلي تسوية حساباته في جنوب لبنان.

وهذا أمر يکاد يكون مستحيل ورغم امتلاكه لخبرات قتالية جديدة إلا أنه فقد خيرة قواته ونخبته القتالية والأهم أنه مستنزف في سوريا ولا يستطيع مواجهة أو خوض حرب جديدة مع إسرائيل وهو مكشوف شعبياً لبنانياً عربياً وإسلامياً والأهم أن إسرائيل قد ترد عليه في سوريا ولبنان وقد تؤدي سيرورة الحرب إلى سقوط النظام السوري نفسه وتبديد مقدرات وممتلكات وأسلحة حزب الله مع تصرفه في الفترة الأخيرة على أساس أن القضية المركزية له هي الدفاع عن النظام السوري ناهيك عن القيود الإيرانية التي لا ترى أى تصعيد يعيث أوراقها ويؤخر رفع الحصار عنها وهذا السبب تحديداً وراء عدم رد الحزب الجدي على الغارات والعمليات الإسرائيلية المتواصلة ضده وضد قواه وقياداته خاصة في سوريا.

التحدي الخامس: الإبحار سياسياً في خضم الأهداف المتناقضة بين الراعين الإقليميين دمشق وطهران رغم أن الأهداف المتناقضة بين العاصمتين جزئية وغير ظاهرة للعيان خاصة في ظل حاجة دمشق وانبطاحها أمام إيران التي باتت متحكمة بالشأن السوري إلى أن جاءت روسيا ويمكن القول أن التناقض قد يحدث بين موسكو وإيران حول حدود عملية التسوية وإمكانية تخلٍ موسكو عن النظام إذا ما توصلت إلى صفة مع واشنطن والغرب أو وجدت ذلك متناسباً مع مصلحتها

بينما ربطت طهران وحزب الله مصلحتهم ببقاء النظام والتباهي السياسي قد يظهر مع الوقت وهو ظهر جزئياً مع رفض موسكو القيام بعملية برية في سوريا وإيكال المهمة لإيران وحلفائها وهو ما أدى إلى خسائر كبيرة في صفوفهم والأهم أنه أظهر وكأن موسكو هي اللاعب الأساس والمركي في سوريا وتعاطي مع إيران والحزب بالضبط كما يتعاطى هؤلاء مع النظام وجيشه أي بمزاج من الفوقيه التعالي والغطرسة.

– التحدي السياسي والأخير للحزب حسب الموقف: إيجاد غطاء سياسي مناسب لتدخله في سوريا بموازاة الحفاظ على أكبر قدر ممكن من الدعاية التقليدية القومية المعادية لإسرائيل والمناوئة للطائفية.

هذا يختصر تقريراً كل التحديات ويكاد يكون مستحيل لأن الحزب يخوض معركة طائفية بامتياز في سوريا وبات منخرط بقوة في سياق الامبراطورية الفارسية فمن لبنان إلى اليمن ومروراً بسوريا العراق لا يمكنه أن يسترجع أى غطاء شعبي عربي أو إسلامي كما الماضي والحقيقة أنه بدد كل رأس ماله وما استثمره سياسياً إعلامياً وفكرياً خلال سنوات أو عقود من المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي والاحتضان الشعبي اللبناني العربي الإسلامي له رغم المحاولات السياسية والإعلامية لعزله وشيطنته وهي ابتعدت وانفكت عنه بعقلها ومزاجها الجماعي عندما غير طريقه وانطوى في إطار حلف الأقليات المذهبية والدموي علماً أن موقفه خلال حرب غزة الأخيرة فضح أو كشف كل المعطيات السابقة وحقيقة تخليه عن القضية الفلسطينية لصالح القضية الجديدة المتمثلة بالدافع عن نظام بشار الأسد في معركة طائفية خاطئة وبالتالي خاسرة ولا أمل فيها.

مواجهة التحديات السابقة صعبة وتکاد تكون مستحيلة و تستلزم تغييراً فعلياً في القيادة السياسات الذهنيات والنهج، والانخراط ضمن استراتيجية وطنية دفاعية رادعة لإسرائيل لا تسمح باستخدام سلاح المقاومة الشريف في الداخل للبطش والاستبداد وتحقيق غايات ومنافع مذهبية وسياسية وصغريرة أو في الخارج للقتال إلى جانب الميليشيات المذهبية الطائفية ورموز الاستبداد ووبقایا الفلول وبلطجية الثورات المضادة.